M.63

الديارات

لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي

(المتوفى سنة ٣٨٨هـ = ٩٩٨م)

تحقيق

كوركيس عوّاد

دار الرائد العربي
بيروت ـ لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لـ . دار الرائد العربي

الطبعة الثالثة
١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م

أجازت طبعه دائرة الرقابة العامة
ودائرة الشؤون الثقافية العامة
بوزارة الثقافة والاعلام العراقية

دار الرائد العربي - بيروت - لبنان
ص.ب : ٦٥٨٥ - تلكس : LE ٤٣٤٩٩ رائد

مقدمة الطبعة الأولى

كيف وقفنا على هذا الكتاب ؟

كنت أقرأ عن كتاب « الديارات » للشابشتي في بعض المراجع العربية ، وأرى بعضها ينقل منه • وكان يغلب على ظني أن هذا السفر النفيس قد امتدّت اليه يد الضياع فأصبح أثراً بعد عين •

ثم اتضح لي ، في سنة ١٩٣٧ ، أن هذا الكتاب ، أو أكثره ، قد نجا من غوائل الدهر ، وأن نسخة فريدة منه محفوظة في خزانة كتب برلين •

ولبثتُ متشوقا الى الوقوف عليه ، حتى كانت سنة ١٩٣٩ • فان العلامة الأب أنستاس ماري الكرملي ، رحمه الله ، حينما كان في مصر تلك السنة ، أهدى اليه صديقه المستشرق الالماني فيشر (August Fischer) نسخةً مصوّرة بالفتغراف من هذا الكتاب ، منقولة من نسخة خزانة برلين • ورغب الى الأب أن يُعنى بنشره • فأكبّ عليها ينقلها بيده ، ليعود اليها بالتحقيق والتعليق • ولكن انصرافه الى بعض مؤلفاته التي أخذ بها نفسه ، وانهماكه في أعمال « مجمع اللغة العربية » ، واقباله على اتمام معجمه الموسوم بـ « المساعد » ، حال دون انجاز تلك الرغبة ، وباعد بينه وبين نشر هذا السفر •

ولما عاد الى بغداد في تلك السنة ، أطلعني على النسخة التي كتبها بيده • وأما النسخة المصوّرة فلم أرها حينذاك لأنه أبقاها في القاهرة • وقد حرّضني على أن أقرأ الكتاب ، بل أن أتولّى تحقيقه ونشره بدلاً

منه • وقال لي ، فيما قال بصدد هذا المؤلف ، انه خليق بكل عناية • فرأيت أن آخذ بما أشار به علي • وأقبلتُ على قراءة الكتاب • ثم انتسخت لي نسخة منه بيدي تكون معواناً لي في عملي •

ولكنّ شيئا واحدا كان يحزّ في نفسي ويقلق بالي : ذلك اني لم أقف على أصل الكتاب الممثّل في النسخة المصوّرة • فرجوت من الأب الجليل أن يتكرّم علي بجلبها من القاهرة • فبادر الى ذلك ، فلما جاءت أعطانيها •

فأنعمت النظر فيها • وقابلت نسختي بها مقابلة دقيقة كاملة ، سطرا فسطرا وكلمة فكلمة • فبانت لي من خلال ذلك أمور لم تستقم في نسخة الأب ، ثم في نسختي المأخوذة عنها •

فأصلحتُ ما أصلحت وأكملت ما بان لي نقصانه • وأغلب ما وقع من هذا القبيل في نسخة الأب ، مردّه الى السهو أو الاسراع في النقل • فان الأب ، رحمه الله ، أخبرني أنه نسخ الكتاب كله ، وهو في مصر ، في نحو من أسبوعين • هذا الى انصرافه الى شؤون العلم ، من بحث وتأليف ونشر •

ولما أيقن الأب ، رحمه الله ، اني لن أتردد في نشر الكتاب ، تفضّل فأهدى الي نسختيه : المصورة بالفتغراف والمكتوبة بيده ، تذكارا جميلا ، وأملاً منه في أن يرى بعد زمن قصير نسخةً مطبوعة من هذا الكتاب •

ولكنّ الأقدار شاءت أن يبارح الأب هذه الدنيا قبل أن أُوفّق لنشر الكتاب • والذي حال دون ذلك أمور لا أرى ما يوجب ذكرها في هذا المقام •

مخطوطة الكتاب

ليس لهذا الكتاب ، فيما نعهد ، الا نسخة خطّية فريدة ، في خزانة كتب برلين ، رقمها ٨٣٢١ • وقد وصفها مُفهرس المخطوطات العربية في تلك الخزانة وصفاً حسناً[١] ، غير انه وهم في أمر مؤلفها فنسبها الى أبي الفرج الاصفهاني صاحب كتاب الأغاني •

وهذه النسخة مكتوبة بخط نسخي جميل واضح • وأكثر كلماتها مشكول • أما عنوانات الفصول فبقلم الثلث •

والذي نأسف له ، أن هذه النسخة مخرومة من أولها بما نجهل مقداره • ويرى مُفهرس مخطوطات برلين ، أن المفقود منها زهاء عشر ورقات • وعندنا أن الساقط منها يزيد على ما ذكره هذا المفهرس ، بل قد يبلغ نحو ثلث الكتاب • فان ابن خلكان قال في تعريفه بالكتاب ، ان الشابشتي وصف فيه « كل دير بالعراق والموصل والشام والجزيرة والديار المصرية »[٢] • على ان جملة من ديارات العراق ، وكل ديارات الشام ما خلا دير البُخت ، لا أثر لها في هذه النسخة •

تبدأ هذه المخطوطة ، بأوائل الكلام على « دير درمالس » ببغداد ، وتنتهي بانتهاء الكتاب • وفي آخرها اشارة الى أن عبدالحليم بن محمد بن عبدالوهاب بن أحمد بن عربي الدمشقي المعروف جدّه بالنحوي ، قد فرغ من كتابتها في ليلة صباحها يوم الخميس ، السادس عشر من شهر

(١) Ahlwardt (W.), Verzeichniss der Arabischen Handschriften der Königlichen Bibliothek zu Berlin. (Vol. 7, p. 309-310; No. 8321).

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان (١ : ٤٨١ بولاق ١٢٧٥هـ) • وانظر : كشف الظنون للحاج خليفة (١ : ٧٦٢ استانبول سنة ١٩٤١) •

ربيع الآخر سنة احدى وثلاثين وستمائة (١٩ كانون الثاني ١٢٣٤م) •

والذي سلم من هذه المخطوطة ١٣٥ ورقة ، أي ما يساوي ٢٧٠ صفحة من قطع الثُمن • طول الورقة ٢٤ سنتمتراً وعرضها ١٥ سم • والمكتوب منها يبلغ ١٥و٥ × ٩ر٥ سم • وفي كل صفحة ١٥ سطراً •

وكاغد هذه النسخة ثخين صقيل يضرب الى الصفرة • وهي مجلّدة بجلد أسود ، تمزقت دفته اليمنى • وأوائل أوراق المخطوطة مفككة • وقد أصاب أعالي بعض أوراقها رطوبة •

اتخذنا النسخة المصورة على نسخة برلين ، أساسا لنا في تحقيق الكتاب، لأننا لم نعثر على غير نسخة برلين المذكورة ، على كثرة بحثنا عنها في مختلف الفهارس لخزائن كتب الشرق والغرب •

ذكر الاستاذ حبيب زيات انه كان من هذا الكتاب « نسخة ثمينة مزوّقة (Illustrée) ، وقف عليها شمس الدين محمد بن طولون الدمشقي في القرن العاشر للهجرة (ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر لابن طولون الحنفي ، رقم ١٤٢٢ من الخزانة التيمورية) • ولا يخفى ما فاتنا بفقدها من الفائدة الجلّى لامكان دلالة ما فيها من الصور والاشكال على رسوم الديارات وضروب أبنيتها »[٣] •

وكان العلامة أحمد تيمور باشا ، قد نوّه بهذه النسخة المزوّقة من كتاب الديارات ، في احدى رسائله[٤] الى الأب أنستاس الكرملي ، قال انه « رأى اسمه [يعني اسم كتاب الديارات] مذكورا في ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر لابن طولون • فذكر انه اطلع على نسخة منه

(٣) الديارات النصرانية في الاسلام : لحبيب زيات (ص ٥ ، بيروت ١٩٣٨) •

(٤) تاريخها ٢٩ يوليه ١٩٢٤ •

مشوّهة أي مصورة عند عبداللطيف بن عبدالله ابن أحمد المكيّ الشافعي ، مع كتب أخرى مصوّرة ، كالمقامات الحريرية ، وكليلة ودمنة ، وطيف الخيال لابن دانيال ، والعرس والعرائس للجاحظ • فانظر يا سيدي كيف عَدت العوادي على مثل هذه الذخائر ، ولم تترك لنا منها الا التحسر عليها »[٥] •

ومما لابد من ذكره في هذا المقام ، ان ما نجده في بعض خزائن الكتب من نسخ مخطوطة أو مصورة بالفوتستات وبالميكروفلم لكتاب الديارات ، انما هي منقولة من نسخة برلين الفريدة •

على ان نسخة برلين هذه على جمال خطها وقدم تاريخها لم تسلم من عبث الناسخ • فقد تخلّلها شيء كثير جداً من التصحيف والتحريف • ذلك الى خرم أضاع شطرا من محاسنها •

بل ان عند الورقتين ٤ و٨ من هذه المخطوطة ، ثلمتين أخريين ، قد تبلغ كل منهما ورقةً أو ما يزيد على ذلك ، أضاعتا علينا شيئا من المتن وشوّهتا النسخة بعض التشويه •

يتساهل ناسخ المخطوطة كثيرا فى كتابة الهمزة ، من أول الكتاب الى آخره • وهذا التساهل يتناول الهمزة أينما تقع من الكلمة • ولو ذكرنا كل الألفاظ المهموزة التي نالها تساهل الناسخ ، لطال بنا القول وخرجنا عن المراد • فاننا نرمي في هذا المقام الى التمثيل لا الاستقصاء • فناسخ هذا المخطوط يحذف الهمزة تارة ، ويليّنها تارة اخرى • فتراه يكتب ازاه وقصايد ، بدلا من : ازاءه وقصائد •

(٥) رسائل أحمد تيمور الى الأب أنستاس ماري الكرملي (ص ١١٥ بتحقيق كوركيس عواد وميخائيل عواد • بغداد ١٩٤٧) • والتصوير عند العرب لأحمد تيمور (ص ٣٨ تحقيق الدكتور زكي محمد حسن• القاهرة ١٩٤٢) •

كما انه يحذف الألف من بعض الألفاظ ، على الطريقة القديمة في الكتابة • فيكتب : مرون وجمدى بدلا من : مروان وجمادى •

وهو بخلاف ذلك ، يكثر من الحاق الألف في آخر الفعل المضارع للمفرد المذكر والمؤنث • فيكتب : يخلوا وتدعوا بدلا من : يخلو وتدعو •

كما انه يكتب الألف طويلةً في مواطن القصيرة ، فيكتب : أبا ووفا ، بدلا من : أبى ووفى •

ثم انه يهمل كثيرا من الحروف المعجمة • وذلك شيء كثير جدا ، نكاد لا نجد سطرا من سطور الكتاب يخلو منه •

واهمال الحروف المعجمة في الكلمات المألوفة ، قد يكون غير ذي بال حين تسهل قراءة اللفظة • ولكنه يكون أمرا صعبا محيّرا حينما يجوز أن تُقرأ الكلمة المهملة عدة قراءات ، وأن تُحمَل كل قراءة منها على وجه من الوجوه •

وتعظم الصعوبة في قراءة مثل هذه الألفاظ المهملة الحروف ، حينما تكون عَلما لشخص أو مكان ، أو لفظا دخيلا • فمن أسماء الاشخاص كتب : ساريه وجعويه وشراعه بن الربدبود وبموب بن المرزع ، بدلا من : شارية وجبغويه وشراعة بن الزندبوذ ويموت بن المزرع •

ومن أسماء الأمكنة كتب : دير الربقيه وبروعى وبلشكر ، بدلا من : الزُرَيقية وبزوغى وبلشكر •

ومن الدخيل نذكر باحح وبادكارات بدلا من : تاختج وبادكارات •

وما نودّ الاشارة اليه بوجه خاص ، هو الشعر • والأبيات التي أوردها الشابشتي ، في ما بيدنا من كتابه ، تبلغ زهاء ألف وخمسمائة بيت • جاء بعضها صحيحا لا شائبة فيه ، واضطرب بعضها الآخر والثوى • فألفاظه لم تسلم من تحريف • وبعض تلك الأبيات جاء مختلّ الوزن ، قد تداخل فيه الصدر بالعجز ؛ فازدادت الصعوبة في تحقيقه ورفع غبار التشويش عنه •

منزلة الكتاب البلدانية والتاريخية والادبية

هذا كتاب ذو جوانب ثقافية متعددة • فهو كتاب بلدان وتاريخ وتراجم وأدب وحضارة معاً •

فالعالم بالبلدان ، له أن ينظمه في سلك كتب هذا العلم ، لكونه يذكر أمكنة وبقاعا كثيرة أغفلها غيره • هذا الى توسعه في ذكر ديارات أُربت على خمسين ديرا •

وللمؤرخ أن يعده في جملة كتب التاريخ ، لما في مطاوي هذا السفر من الانباء والاحداث التاريخية ، ما لو جُرّد واستخلص ، لقام منه مؤلَّف في الأخبار والتراجم لا يُستهان به •

وللأديب أن يدخله في عداد كتب الأدب • فالمصنَّف الذي بيدنا طرفة أدبية فاخرة • فيه من روعة الأسلوب وحلاوة النكتة ولطف النادرة ، ما تنشرح به النفس ويرتاح له الخاطر • وهو مرجع من مراجع الشعر العربي ، حوى بين دفتيه قصائد ومقطّعاتٍ وأبياتا ، لو أُفردت لقام منها « ديوان » لا يقل في جملته عن ألف وخمسمائة بيت ، على ما أسلفنا • وهذه الأشعار تُعزى الى جمهرة من الشعراء يبلغون نيفاً وسبعين شاعراً ، ضاعت دواوين أكثرهم وسلم أقلّها • بل ان ما بيدنا من تلك الدواوين ، لا يؤلف شعر الشاعر بأجمعه • مثال ذلك ان الشابشتي أورد قصائد ومقطوعات لكشاجم ، الشاعر الأديب المعروف • وديوان هذا الشاعر قد طُبع في بيروت منذ نيف ونصف قرن • ولكن في كتاب « الديارات » ، أبياتا وقصائد لا تُرى في النسخة المطبوعة من هذا الديوان • ومثل ذلك يقال في أشعار « ابن المعتز » و « أبي نواس » و « الصنوبري » وغيرهم •

أما الأشعار الواردة فيه لمن ضاعت دواوينهم من الشعراء ، فحدّث عن قيمتها الأدبية ولا حرج •